" الإعجاز القرآني في المفردة القرآنية " كما تناولها الشيخ محمد أنور شاه الكشميري (رحمه الله) ت١٣٥٢هـ- أنموذجًا

أ.م.د/ صفاء عبد الرحيم برعي

أستاذ مساعد الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة سوهاج

Safaaborai2@gmail.com

ملخص

لقد تعددت وجوه الإعجاز القرآني، وتباينت أقوال العلماء فيه، ومن تلك الوجوه: إعجازه من خلال مفرداته، وتحقيقُ اللفظةِ المفردةِ في ذاتها هو أول العلوم اللفظية التي يحتاجها من يشتغل في علوم القرآن. وممن تناول هذا الوجه بشكل مستقل الشيخ محمد أنور شاه الكشميري(ت١٣٥٢هـ)، فهو يرى أن المفردة بذاتها، باستقلاليتها، وبانفرادها عن غيرها تحقق الإعجاز القرآني، والمقصود بالإعجاز في ذاته:عدم القدرة على مجاراة القرآن، فاختيار المولى- سبحانه- للفظة بذاتها دون غيرها من ألفاظ، وبما يتناسب مع السياق، ومع النظم، ومع الغرض الذي سيقت له، إلى غير ذلك من أنواع، لهو نوع من الإعجاز.

ولذلك انقسم الإعجاز في المفردة القرآنية، كما تناولها الشيخ (رحمه الله) إلى أنواع: إعجاز المفردة القرآنية من خلال إفادتها الحقيقة، من خلال وضعها في السياق، من خلال وفائها بالغرض الذي وضعت له، من خلال النظم، من خلال الصيغ، من خلال اختيارها من بين نظائرها.

هذا وإن المفردة القرآنية لا يمكن دراستها بمعزل عما يجاورها من مفردات، كما لا يمكن دراستها بشكل مستقل عن المفردة في العربية، واستعمالات أهل اللغة من نحو وصرف واشتقاق، إلى غير ذلك، مما يوصل إلى إدراك وضعها في إعجاز القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية:

المفردات- محمد أنور شاه الكشميري- الإعجاز- النظم- السياق

Abstract

I'jaz al-Quran (inimitability of the Qur'an) has been demonstrated in various aspects, with several opinions of the scholars, such as the inimitability of vocabularies and the word itself as the primary sciences required by those interested in Qur'an sciences. For instance, Sheikh Anwar Shah Kashmiri (D. 1352AH.) considered the word itself solely to achieve the inimitability of the Qur'an. The inimitability of the Qur'an means the inability to imitate the Qur'an because Allah the Almighty provides a unique word that fits the context, structure, and purpose. Therefore, the inimitability of the Qur'an word as perceived by the Sheikh (may Allah have mercy upon him) includes The inimitability of the Qur'an word in terms of its real benefit, contextualization, fulfilling the purpose, structure, form, and unique choice. However, a Qur'an word cannot be studied without considering the surrounding words and context, the Arabic structure, and language use considering the morphology and derivation to perceive its inimitability in the Holy Qur'an.

Keywords: **Vocabulary; Sheikh Anwar Shah Kashmiri; I'jaz (inimitability); Structure; Context**

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعله موجزًا في اللفظ والمعنى والنظام، مشتملًا على علوم حارت فيها عقولُ الأنام، معجزًا في آيه وسوره، عجزَ الإنسُ والجنُ على الإتيان بمثله، ولو اجتمعوا، وأصلي وأسلم على النبي العدنان، وآله وصحبه الأخيار الأطهار.

وبعد،،،،،،

فإن القرآن الكريم على غاية ما يكون من الفصاحة والبلاغة والبيان، سواء في لفظه أو معناه، مبرءٌ من الاختلاف أوالتناقض أوالتعارض، فهو كلام الله الواحد الأحد، وهو القائل سبحانه:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[١]، وقد تعددت وجوه الإعجاز القرآني، فمنه ما هو راجع إلى تأليفه، ومنه ما هو راجع إلى تركيبه وحسن ترتيبه، ومنه ما هو راجع إلى إخباره عن الغيوب، ومنه ما هو راجع إلى ما تضمنه من أخبار عن قصص الأولين، ومنه ما هو راجع إلى فصاحته، وغرابة أسلوبه، وسلامته من جميع العيوب، إلى غير ذلك.

وقد تناول قضية الإعجاز القرآني عالم مفسر محدث كبير، شيخ جليل من شيوخ بلاد الهند وعلمائها هو الشاه محمد أنور شاه الكشميري، عالم معاصر ولد سنة١٢٩٢هـ، نشأ وترعرع في ربوع الهند، وبالتحديد (ديوبيند)، ترك مؤلفات قيمة تدل على تبحره وتحنكه في فنون العلم الإسلامي، ومن تلك المؤلفات كتاب(مشكلات القرآن) الذي تعرض فيه لموضوعات منها (وجوه الإعجاز القرآني)، وكما قال: " القرآن الكريم كله معجز، وإعجازه عندي سار في مفرداته، ومركباته، وفي ترتيب كلماته، وفي مقاصده، وحقائقه، فهو معجز لفظًا، وتركيبًا، وترتيبًا، وأغراضًا، ومقاصدًا، وعلومًا، وحقائقًا".[٢] وقد تناول كل ذلك تناولًا موجزًا، ولكن على إيجازه جامعًا شافيًا وافيًا، استطاع أن يؤدي المقصود، ويحلق بنا في سماء القرآن المعجز.

وقد اقتصرت في هذا البحث على وجه واحد من وجوه الإعجاز حسب تناول الشيخ وهو (المفردات)؛ إذ إن تناول الوجوه جميعًا لا تستوعبها تلك الصفحات.

وكما قال صاحب المفردات: " إن أول ما يُحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة؛...."[٣] ولذا كان هذا البحث عن وجه من وجوه الإعجاز التي احتواها القرآن الكريم ألا وهو (المفردة)، فالكلمة أو اللفظة أو المفردة القرآنية معجزةٌ في ذاتها، وهذا الإعجاز يتحقق من خلال أنواع عدة، فتارة من خلال وفاء اللفظة بالمعنى، وتعبيرها عن الحقيقة، أو من خلال مناسبتها للسياق، أو من خلال النظم، إلى غير ذلك من أنواع الإعجاز الذي اشتمات عليه المفردة القرآنية، ولكن كل ذلك يأتي وفق تناول الشيخ محمد أنور شاه الكشميري (رحمه الله).

أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع:

١- ترجع أهمية الموضوع إلى كونه يتناول جانبًا مهمًا من جوانب إعجاز القرآن، ألا وهو مفرداته، فالمفردة القرآنية معجزة في ذاتها وبانفرادها.

٢- كذلك الكشف عن دور عالم مجتهد معاصر من علماء الهند، كانت له بصمة كبيرة في العلوم الإسلامية، وهو الشيخ محمد أنور الكشميري، من خلال كتابه (مشكلات القرآن).

٣- بيان ما قدمه الشيخ في تلك القضية، وانفراده عن غيره في عرضه لها.

منهج البحث:

يعتمد البحث بشكل أساسي على المنهج الاستقرائي ، بتتبع أقوال الشيخ حسب أنواع الإعجاز في المفردة القرآنية، ونماذج على ذلك، مع الرجوع على أقوال غيره من المفسرين والعلماء الذين كتبوا في الإعجاز القرآني.

وتتبع أقوال الشيخ كان من خلال مصدرين، الأول: كتاب مشكلات القرآن، للشيخ الكشميري نفسه.

والثاني: كتاب يتيمة البيان لمشكلات القرآن، وهو شرح وبيان، وجمع لأقوال الشيخ من خلال خواطره، وما تفيض به نفسه الشريفة، أو من خلال لقاءاته ومحاضراته، وهكذا، قام بجمعه الشيخ محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات السابقة التي أقيمت حول وجوه الإعجاز القرآني، نذكر منها ما يتلق بالألفاظ على سبيل المثال، لا الحصر، ما يلي:

١- كنوز الإعجاز القرآني في مشاكلة الألفاظ والمعاني، للباحث: عبد الجواد محمد محمد طبق، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر،١٩٩٦م، ع١٦، صفحات ٣٠٣-٣١٨.

٢- فكرة انتقاء الألفاظ بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بين النظر والتطبيق، للباحث: محب جلال عبد الفراج إسماعيل، مجلة الدراسات الإسلامية والأدبية، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، ٢٠١٦م، ع١٦، مج ٤، صفحات ٨٩٥-٩٤٣.

٣- وجوه الإعجاز البياني، ودلالاته في بنية الألفاظ ومقامات الخطاب القرآني- نماذج وتطبيقات، للباحث: حسين عمر دراوشة، المؤتمر الثالث للإعجاز البياني في القرآن الكريم، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٩م، صفحات ٧٠-١٠٦.

ولكن لم تقم دراسة حول تناول الشيخ الكشميري لتلك القضية، أما عن الدراسات التي تناولته في جانب التفسير، فهي:

١- تفسير الإمام الكشميري-جمع ودراسة وتحليل، جمال محمد علي حسين، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان،٢٠١٦م.

٢ - طرق دفع الإشكال عن الآيات القرآنية عند الشيخ أنور شاه الكشميري- نماذج من كتابه " مشكلات القرآن "، حافظ محمد ظهير، تاج أفسر، مجلة البصيرة، مج٩، ع ٢، الصفحات ٧٥-٩١.

غير أن هناك دراسات عن الشيخ في الجانب العقدي والحديثي، مثل:

١- الشيخ محمد أنور شاه وآراؤه الاعتقادية (عرضًا ونقدًا)، محمد عبد الله فاروق ، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين بجامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢- منهج الإمام الكشميري في كتابه فيض الباري على صحيح البخاري، أدور الأمين أيول شول، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان السودانية، ٢٠١٣م.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١- بيان وجوه الإعجاز القرآني (المفردة القرآنية) كما تناولها الشيخ، مع إيراد أقوال غيره من المفسرين وعلماء البلاغة.

٢- عرض نماذج تطبيقية من الآيات القرآنية التي تناولها الشيخ في كتابه، والتي يتحقق بها الإعجاز من حيث مفرداته.

٣- بيان تفرد الشيخ عن غيره من العلماء والمفسرين ممن تناولوا قضية الإعجاز القرآني بشكل عام.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الجواب عن التساؤلات الآتية:

١- ماذا تمثل المفردة القرآنية في قضية إعجاز القرآن الكريم؟

٢- ماذا قدم الشيخ الكشميري في قضية الإعجاز القرآني؟ وما التشابه والاختلاف بين غيره من العلماء والمفسرين؟

حدود البحث:

تتمثل الحدود التي تشملها الدراسة، ولا تخرج عنها في الآتي:

١- تناول وجه واحد من وجوه الإعجاز القرآني، كما تناوله الشيخ، وهو (المفردات) دون التعدي إلى غيره .

خطة البحث:

أما خطة البحث فهي تتكون من:

مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

أولًا: المقدمة، وفيها:

١- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

٢- الدراسات السابقة.

٣- منهج البحث.

٤- أهداف البحث.

٥- مشكلة البحث.

٦- حدود البحث.

٧- خطة البحث.

ثانيًا: التمهيد، ويشتمل على جزئيتين، هما:

أولًا: التعريف بالشيخ محمد أنور شاه الكشميري، ووصف كتابه.

ثانيًا: المقصود بوجوه إعجاز القرآن.

ثالثًا: مباحث البحث، وهي:

المبحث الأول: التعريف بالمفردة بشكل عام، وبإضافتها إلى القرآن بشكل خاص، وفيه ثلاثة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول: المفردة باصطلاح علماء اللغة.

المطلب الثاني: المفردة باصطلاح علماء القرآن والتفسير..

المطلب الثالث: مناهج العلماء في تناول المفردة القرآنية.

المبحث الثاني: أنواع الإعجاز في المفردة القرآنية كما تناولها الشيخ الكشميري، وفيه خمسة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول: إعجاز المفردة القرآنية من خلال إفادتها الحقيقة.

المطلب الثاني: إعجاز المفردة القرآنية من خلال وضعها في السياق.

المطلب الثالث: إعجاز المفردة القرآنية من خلال وفائها بالغرض الذي وضعت له.

المطلب الرابع: إعجاز المفردة القرآنية من خلال النظم.

المطلب الخامس: إعجاز المفردة القرآنية من خلال الصيغ.

المطلب السادس: إعجاز المفردة القرآنية من خلال اختيارها من بين نظائرها.

المبحث الثالث: تفرد الشيخ الكشميري في قضية الإعجاز القرآني. وفيه مطلبان، كما يلي:

المطلب الأول: تفرده عن غيره في تناوله لقضية المفردات والنظم.

المطلب الثاني: تفرده عن غيره من حيث القدر المعجز من القرآن.

****

تمهيد

ويشتمل على ما يلي:

أولًا: التعريف بالشيخ محمد أنور شاه الكشميري، ووصف كتابه .

ثانيًا: المقصود بوجوه إعجاز القرآن.

****

أولًا: التعريف بالشيخ محمد أنور المعظم شاه الكشميري. ووصف كتابه.

أ) التعريف بالشيخ محمد أنور المعظم شاه الكشميري:

هو الفقيه المجتهد الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ابن الشيخ معظم شاه، إمام العصر، مُسند الوقت، ولد سنة ١٢٩٢هـ بقرية ودوان، نسبته يرجع إلى ولاية كشمير، وهي منطقة تقع في الشمال الغربي لشبه القارة الهندية [٤] ، وقد تربى على والديه تربية مثالية، فنشأ في ظل عطوفة أبوين صالحين، ولذا كان معروفًا بالتقوى، وغض البصر، واحترام الأساتذة.[٥]

مكانته العلمية:

كان الشيخ(رحمه الله) محبًا للعلم والفهم، فحصَّل علوم العربية، والفقه والأصول، والحديث، وغيرها، مما جعله مؤهلًا للإفتاء وهو في الثانية عشرة من عمره، كما كان شغوفًا بالمطالعة، حتى أنه انتهى من مطالعة كتاب (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) في شهر رمضان المبارك، وكانت طريقته في المطالعة أنه لا يترك الكتاب دون أن ينهيه، فكان أول عالم بين علماء الهند طالع مسند الإمام أحمد بن حنبل، فكان يطالع منه في كل يوم مائتي صفحة، مع نقد أحاديثه وضبط أحكامه. [٦]

أتم حفظ القرآن في الخامسة، ثم شرع في الكتب الفارسية حسب ما توارث في أهل بلدته، ثم شرع في تحصيل العلوم العربية، ثم الفقه وأصوله والمنطق. [٧]

كان الشيخ (رحمه الله) إمامًا في علوم القرآن والحديث، حافظًا واعيًا لمذاهب الأئمة، مع إدراك الاختلاف بينهما، وقادرًا على اختيار ما يراه صوابًا، كما أحاط بكتب أهل الكتاب من أسفار العهد الجديد والقديم. [٨]

قام الشيخ بعد تخرجه برحلات كثيرة يستقي من علمائها ومشايخها، فرحل إلى مدينة دلهي، وهي ثاني أكبر مدينة في الهند بعد مومباي، فدرس فيها في (مدرسة عبد الرب) ثم أسس المدرسة العربية الأرمينية، ثم ذهب إلى زيارة الحرمين الشريفين، وهناك أخذ ينهل من مكتبة شيخ الإسلام" عارف حكمت " والمكتبة المحمدية [٩] والتقى بعدد من رجال العلم، منهم الشيخ: حسين الجسر الطرابلسي صاحب الرسالة الحميدية، والحصون الحميدية، وبعد رجوعه

بدأ بالتدريس في دار العلوم في ديوبند، وظل مدرسًا بها حتى عام ١٣٤٥هـ، ثم رحل إلى (دابيل) بقرب " سورت " في نواحي مومباي، وأسس معهدًا كبيرًا يسمى (بالجامعة الإسلامية)، وإدارة تأليف تسمى (بالمجلس العلمي). (١٠)

وقد أثنى عليه العلماء المعاصرون، ولثناء المعاصر على المعاصر قيمة كبيرة، فقال فيه الشي خ سليمان الندوي(رحمه الله): " هو البحر المحيط الذي ظاهره هادئ ساكن، وباطنه مملوء باللالئ الفاخرة الثمينة ".(١١) وقال السيد محمد رشيد رضا، بعدما زار جامعة ديوبند، واستمع إلى محاضرة الشيخ: " لو لم أرَ هذه الجامعة العلمية، ومثل هؤلاء الأحبار الأعلام، لرجعت من الهند حزينًا ".(١٢) وقال تلميذه الشيخ محمد بدر العالم، وقد لازمه عشر سنين: " لو نظرت إليه لنظرت إلى رجل يضاهي الذهبي في حفظه، ويماثل ابن حجر في إتقانه وضبطه، ويساجل ابن دقيق العيد في عدله ودقة نظره، ويشابه البحتري في شعره، بلى، وليس ذلك بعيد من صنع الله عز وجل:

وليس على الله بمستنكر .... أن يجمع العالم في واحدٍ. (١٣)

وقد قام الشيخ محمد يوسف البنوري بتأليف كتاب في ترجمته المختصرة(حسب وصفه لها) أسماه: (نفحة العنبر في هدي الشيخ أنور)، وقد لاق هذا العمل ثناءً كبيرًا من العلماء أمثال حضرة الحكيم التهانوي، ومحقق العصر الشيخ العثماني، والشيخ كفايت الله الدهلوي مفتي الهند الأكبر. (١٤)

شيوخه وتلاميذه:

التقى الشيخ في أسفاره ورحلاته بعدد من العلماء والمشايخ الذين أخذ عنهم وتعلم عليهم، فقرأ كتب الحديث وغيره على عالم الوقت الشيخ العالم محمود الحسن الديوبندي(رحمه الله) المعروف بشيخ الهند، وعلى المحدث الفاضل الشيخ محمد إسحاق الكشميري، ثم المدني. (١٥)

ويزيد عدد تلاميذه على الألفين، منهم: الشيخ مناظر أحسن الجيلاني، والمحدث الكبير حفظ الرحمن السوهاروي، والشيخ القارئ محمد طيبع، والمحدث الجليل محمد إدريس الكاندهلوي(رحمهم الله جميعًا). (١٦)

مؤلفاته:

ترك الشيخ العديد من المؤلفات، منها ما هو مطبوع باللغة العربية، وما هو مطبوع باللغة الفارسية، ومنها ما يزال مخطوطًا. (١٧)

أولًا: من أشهر المؤلفات المطبوعة باللغة العربية:

١- **مشكلات القرآن:** طبعة المجلس العلمي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط١،١٣٥٧هـ.

٢- **فيض الباري شرح صحيح البخاري:** طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣- **العرف الشذى على جامع الترمذي:** دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١،١٣٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤- **ثلاث رسائل للكشميري:** دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٥- **التصريح بما تواتر في نزول المسيح:** دار المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٨٥هـ. وقد طُبع عدة طبعات.

ثانيًا: من أشهر المؤلفات المطبوعة باللغة الفارسية:

١- **خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب:** طبعة دلهي، ١٩٠٢م.

٢- **سهم الغيب في كبد أهل الريب:** طبعة دلهي، والمجلس العلمي بكراتشي، ١٣٥٢هـ.

٣- **خاتم النبيين:** طبعة مدينة بريس، بجنور، ١٣٥٣هـ.

٤- **النور الفائض على نظم الفرائض:** طبعة كتب خانة فخرية مراد آباد، ١٣٥٦هـ.

ثالثًا: من أشهر المؤلفات المخطوطة: للشيخ مؤلفات ورسائل في مختلف العلوم والفنون، منها:

١- **رسالة في الهيئة**

٢- **رسالة في مسألة من الهندسة، وعلم المرايا والمناظر.**

٣- **رسالة في حقيقة العلم.**

٤- **رسالة في مسألة(يا شيخ عبد القادر شيئًا لله).** (١٨)

وفاته:

ظل الشيخ عاكفًا على التدريس، منقطعًا إلى مطالعة الكتب، لا يعرف لذةً غيرها، حتى أصابه داء البواسير، ثم داء العضال حتى نزفه الدم، واستولى عليه مرض الصفراء، إلى أن حال أجله بديوبند، فتوفي عام ١٣٥٢هـ[١٩]، رحم الله الشيخ، وجزاه خيرًا عن الإسلام والمسلمين.

ب) وصف كتابه:

كتاب (مشكلات القرآن): هو " عبارة عن تفسير للآيات المشكلة من القرآن الكريم، جمعها " المجلس العلمي" بدابهيل من أعمال سورت، وذلك من خلال برنامج الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، والتفسير يحتوي على نكات ودقائق وعلوم وحقائق، وزبدة مما قاله أعيان الأمة المحمودية، وما فاضت به قريحة الشيخ من مضنوناته العالية، وقد خرَّج كثيرًا من حوالاته مدير " المجلس العلمي " الشيخ السيد أحمد رضا البجنوري، وبقي قدر كثير من الحوالات؛ لضيق الوقت، وعدم تيسر الطباعة، مع مقدمة تفسيرية في نحو تسعين صفحة.

ومن عادة الشيخ أنه كان يخوض في غمار المسائل العويصة ما لا يحصى عددًا، غير أنه يمكن ضبط مهماتها التي كان يضبطها في برامجه: **النوع الأول:** ما كان يتعلق بالآيات المشكلة، **والنوع الثاني:** ما يتعلق بالأخبار والآثار المعضلة، **والثالث:** ما كان من باب الحقائق والأسرار، والرابع: ما يفيد الحنفية في مسائلهم أو كان حجة لهم.

وكان يقول: " والقرآن المجيد أحق بحل المشكلات من الحديث، وإن مشكلات الحديث لا تبلغ مشكلات القرآن، فالعناية بها أحرى أن تكون أشد وأقوى " [٢٠]، فكان كلما سنح له شيء بحل مشكل من آي القرآن أو وقف عليه في كتب القوم، فكان يقيده بقلمه، أو إبداء نكتة دقيقة، أو تنبه على سر غامض جادت به قريحته الثرثارة، أو اطلع به في كتب أعلام الأمة، أو ألقى نقلًا من غرر النقول، فكل ذلك كان يضبطه". [٢١]

وقد قام السيد الشيخ محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري بعمل مقدمة للتفسير الذي قام بجمعه للشيخ، سماها (يتيمة البيان لمشكلات القرآن) اشتملت على موضوعات منها ما هو متعلق بالشيخ والتعريف به، ومنها ما هو متعلق بمذكراته وخواطره وأقواله.

ثانيًا: المقصود بوجوه إعجاز القرآن الكريم.

حتى نصل إلى المقصود بوجوه إعجاز القرآن الكريم، نبدأ أولًا بتعريف المعجزة و الإعجاز.

أولًا: تعريف المعجزة:

أ) في اللغة: العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْم، عَجَز عَنِ الأَمر يَعْجِزُ وعَجِزَ عَجْزاً فِيهِمَا؛ وَرَجُلٌ عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجِزٌ، وَيُقَالُ: أَعْجَزْتُ فُلَانًا إذا أَلْفَيْتَه عاجِزًا.[٢٢] وفي القرآن الكريم:﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ...﴾[٢٣]، قال الزجاج: " ويقرأ (مُعاجِزين) وَمُعاجزين في مَعْنَى مُسَابقين، ومن قرأ مُعَجِّزِينَ فمعناه أنهم يُعَجِّزُونَ من آمن بها، ويَكُونُ في معنى مُثبِّطِينَ، وهو معنى تعجيزهم من آمن بها [٢٤]، (أعجز) فلَان: أي: سبق فَلم يدْرك، وَالشَّيْء فلَانًا فَاتَهُ، وَلم يُدْرِكهُ، وَيُقَال: أعجزه فلَانٌ، وصيره عَاجِزًا، وَفُلَانًا وجده عَاجِزًا. [٢٥]

ب) في الاصطلاح: هي: " أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم من المعارضة، يظهره الله على يد رسله". [٢٦]

فالمعجزة أمر خارق للسنّة التي أودعها الله –سبحانه وتعالى– في الكون، ولا تخضع للأسباب والمسببات، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي، والكسب الذاتي، وإنما هي هبة من الله – سبحانه وتعالى– يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرسالة.

أما عن السحر والأعمال الدقيقة التي يمارسها بعض أهل الرياضات البدنية أو الروحية، فإنه لا يدخل تحت اسم الخارق؛ لأن لكل من تلك الأمور أساليب ووسائل يمكن لأي إنسان أن يتعلمها ويتقنها ويمارسها، فإذا اتبع الأسباب والأساليب المؤدية إلى نتائجها أمكنه بواسطة الجهد الشخصي والمران والممارسة أن يتوصل إلى تلك النتائج.[٢٧]

والإعجاز: من تعريف المعجزة نصل إلى تعريف الإعجاز، فهو مصدر(عَجَزَ)، وأعجز، حتى أصبح إعجاز، أي عدم القدرة على مجاراته، فأصبح مُعجزًا لغيره عن الإتيان بمثله.

ثانيًا: وجوه إعجاز القرآن

اختلفت أقوال العلماء في الوجوه التي يكون بها القرآن معجزًا.

قال الخطابي (ت٣٨٨هـ): " ذهب قوم إلى أن العلة في **إعجازه الصرفة**، أَي صرف الهمم عن المعارضة ، وإن كانت مقدورًا عليها... إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه وهي قوله سبحانه:﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٢٨]، فأشار في ذلك إلى أَمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأَهب والاحتشاد. والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها.

وزعمت طائفة أَن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من **الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان** نحو قوله سبحانه:﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾[٢٩]، وكقوله سبحانه:﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾[٣٠] فقد أخبر في الآيتين بأمر غيبي سيقع في مستقبل الزمان.

وزعم آخرون أَن إعجازه **من جهة البلاغة**، وهم الأكثرون من علماءِ أَهل النظر، فالقرآن إنما صار مُعجزًا؛ لأَنه جاءَ بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنًا أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له فى صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته؛ من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيءٍ منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعًا أخبار القرون الماضية وما نزل من مَثُلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبئًا عن الكوائن المستقبلة في الأَعصار الباقية من الزمان، جامعًا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه ". [٣١]

والخلاصة أنه تباينت أقوال العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

فمنهم من أوصلها إلى عشرة وجوه، ومنهم من نيف على ذلك، ومنهم من جعل وجوه الإعجاز وجهًا واحدًا، ودافع عنه، وأورد الاعتراضات على سواه. ومن يتتبّع هذه الوجوه التي

ذكرها العلماء قديمًا وحديثًا يجد كثيرًا منها يتداخل أو يتشابه، ويمكنه بعد الاستقراء والتحقق أن يجمع بين كثير منها.

نجد أن وجوهًا كثيرة تدور حول الآداء البياني وأسلوب القرآن الكريم المتميّز في ذلك، ووجوه تنصب على الهدايات في القرآن الكريم ومراميه في إسعاد البشرية بإخراجها من الظلمات إلى النور، وإيصالها إلى دار السعادة والنعيم المقيم، ومن الوجوه ما يتعلق بالإخبار عن الغيوب، ومنها ما اشتمل على إشارات وإيحاءات إلى سنن الله في الكون والطبيعة والحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

لذا يمكن أن نجمع الأقوال جميعًا في أربعة وجوه وهي:

أولًا: الإعجاز البياني.

ثانيًا: الإعجاز العلمي(التجريبي).

ثالثًا: الإعجاز التشريعي.

رابعًا: الإعجاز الغيبي. [٣٢]

****

المبحث الأول: التعريف بالمفردة بشكل عام، وبإضافتها إلى القرآن بشكل خاص

وفيه ثلاثة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول: تعريف المفردة باصطلاح علماء اللغة.

المطلب الثاني: المفردة باصطلاح علماء القرآن والتفسير.

المطلب الثالث: مناهج المفسرين في تناول المفردة القرآنية.

****

المبحث الأول: التعريف بالمفردة بشكل عام، وبإضافتها إلى القرآن بشكل خاص.

يحسن بنا في هذا المبحث التعريف أولًا بمعنى المفردة باصطلاح علماء اللغة، ثم بإضافتها إلى القرآن الكريم كمركب إضافي (المفردة القرآنية)، يتبع ذلك بمناهج المفسرين في دراسة المفردة القرآنية في المطالب التالية.

****

المطلب الأول: المفردة باصطلاح علماء اللغة

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: " الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى وُحْدَةٍ، مِنْ ذَلِكَ الْفَرْدُ وَهُوَ الْوَتْرُ" (٣٣)، وَالْفَرْدُ أَيضًا: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، وَالْجَمْعُ أَفراد. يُقَالُ: شَيْءٌ فَرْدٌ وفَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ وفارِدٌ.(٣٤) وجاؤُوا فُرادًا وفِرادًا وفُرادى وفُرادَ وفَرادَ وفَرْدَى، كسَكْرَى، أي: واحِدًا بعدَ واحِدٍ، والواحِدُ: فَرَدٌ وفَرِدٌ وفَرِيدٌ وفَرْدانُ.(٣٥) فقد دلت المعاجم على أن معنى (المفردة) هو الواحد من نوعه.

الفرق بين المفردة والكلمة:

الكلمة: هي" صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة، وتقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد، أو تحذف، أو تحشى، أو يغير موضعها، أو يستبدل بها غيرها في السياق" (٣٦) وتنقسم الكلمة إلى: اسم وفعل وحرف (له معنى)(٣٧)، وهي: لفظ وضع لمعنى مفرد.(٣٨)

أما المفردة، فهي أخص من الكلمة، وتعني الاسم، والفعل حين يرتبط بعامل زمني، وهي الجزء الأول في بناء النظم ". (٣٩) أي أنه يخرج الحرف من حد تعريف المفردة.

المطلب الثاني: المفردة باصطلاح علماء القرآن والتفسير

عند إضافة المفردة إلى القرآن الكريم نجدها تعني: ذلك اللفظ الذي يؤدي معنى في موضعه لا يمكن بحال أن يؤديه غيره، قال ابن عطية: " كتاب الله- تعالى- لو نُزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ". (٤٠)

والمفردة في القرآن الكريم لا يمكن دراستها بشكل مستقل عن المفردة في العربية، ولذلك يجب على المفسر " فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعت في القرآن عن طريق استعمالات أهل اللغة من نحو وصرف واشتقاق، مع ملاحظة المعاني التي كانت مستعملة زمن نزول القرآن". (٤١)

كما أن المفردة الواحدة لا يمكن دراستها بمعزل عما يجاورها من مفردات، يقول عبد القاهر الجرجاني: " والألفاظ المفردة التي هو أوضاع اللغة، لم توضح لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائدُ. وهذا علِمٌ شريفٌ، وأَصْلٌ عظيم؛ والدليلُ على ذلك أن: إنْ زعمنا أنَّ الألفاظَ، التي هي أوضاعُ اللغة، وإنما وُضِعتْ ليُعرَفَ بها معانيها في أَنفُسها، لأَدَّى ذلك إلى ما لا يَشُكَّ عاقِلٌ في استحالته ". (٤٢)

وقد أطلق الثعلبي على المفسرين الذي يهتمون بفهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن الكريم، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة (أهلُ الحقائق). (٤٣)

وعن أهمية اللفظة المفردة يقول السيوطي في المفسر:" ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم بما يليق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات". (٤٤)

والأصفهاني في غريب القرآن يرى أن: " أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللّبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعًا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع ". (٤٥)

" فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة". (٤٦)

****

المطلب الثالث: مناهج المفسرين في دراسة المفردة القرآنية

لقد عني المفسرين بالمفردة القرآنية وفق مناهج من الدراسة: (٤٧)

- المنهج الأول: الأصل الاشتقاقي للمفردة.

أي الأصل الذي اشتقت منه اللفظة، ومعرفته تزيد المفسر عمقًا في معرفة دلالة الألفاظ، ونجده في التفسير بالمأثور، مثل تفسير الطبري في قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا...﴾(٤٨)، فقد أورد عن ابن عباس: أنه قال: " بعث رب العزة ملك الموت فأخذ من أديم الأرض، من عذبها ومالحها، فخلق منه آدم، ومن ثم سُمي آدم؛ لأنه خلق من الأرض ". (٤٩)

- المنهج الثاني: حمل الكلام على المعنى الغالب عند العرب.

أي حمل معنى اللفظة على المعنى الشائع في الاستعمال، وليس الأصل الاشتقاقي، وذلك مثل لفظة (اللبس) التي هي أصل صحيح يدل على المخالطة والمداخلة، ومِنْ ذَلِكَ لَبِسْتُ الثَّوْبَ أَلْبَسُهُ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَمِنْهُ تَتَفَرَّعُ الْفُرُوعُ. وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ الْأَمْرِ; يُقَالُ لَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ أُلْبِسُهُ بِكَسْرِهَا. كما قال ابن فارس (٥٠)، وقال الراغب في مفرداته: لَبِسَ الثّوب: استتر به، وأَلْبَسَهُ غيره، ومنه:﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا...﴾(٥١)، واللِّبَاسُ واللَّبُوسُ واللَّبْسُ ما يلبس، قال تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ...﴾(٥٢) (٥٣)، وما قاله الراغب ليس هو أصل الكلمة، وإنما هو أثر من آثار أصل هذه المادة، وبذك فإن كل مخالطة تؤدي إلى الستر، وليس كل ستر يلزم منه مخالطة.(٥٤) وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في

مواضع متعددة كلها بمعنى الستر في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥٥) وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ .(٥٦) إلى غير ذلك من آيات، أي انتقل المعنى من الأصل الاشتقاقي إلى الاستعمال الشائع.

- المنهج الثالث: معنى اللفظة حسب سياقها.

أي استعمال اللفظة بحسب سياقها المراد، وذلك أن للفظ الواحد معانٍ متعددة، الذي هو علم الوجوه والنظائر، فلا معنى لاستخدام اللفظة حسب أصلها الاشتقاقي أو حسب عرف الاستعمال ما لم يكن هو المعنى المراد حسب سياقها الذي وضعت له.

- المنهج الرابع: المعنى الشرعي للفظة.

مثل لفظة الصلاة التي تستخدم أحيانًا بمعناها اللغوي، وأحيانًا أخرى بمعناها الشرعي، وذلك حسب سياقها الذي وضعت فيه، ما لم يكن هناك تعارض،أما إذا وقع التعارض فحينئذ يقدم المعنى الشرعي، كما أن المعنى الشرعي لا ينفك عن المعنى اللغوي، بل هو جزء منه يزيد عليه فقط بتحديدات شرعية.

ومن أوضح أمثلة احتمال التعارض بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ...﴾ (٥٧) ، إذ السياق يحتمل المعنيين، فقد يكون المراد: لا تَدْعُ لهم، وهو معنى الصلاة في أصل اللغة.

وقد يكون المراد: لا تصلِّ عليهم صلاة الجنازة، وهو المعنى الشرعي المخصوص، وهو المقدَّم هنا. (٥٨)

- المنهج الخامس: الاشتراك اللفظي.

أن يكون للّفظة أكثر من مدلول على سبيل الاشتراك اللفظي اللغوي، لكن الوارد من هذا الاشتراك أحد المعاني، ومن ذلك لفظة (شَطْرَ)، فلها في اللغة ثلاثة أصول:

الأول: يدلّ على نصف الشيءِ.

الثاني: يدلّ على المواجهة، أو الاتجاه للشيء.

الثالث: يدلّ على البُعد.

والذي ورد في القرآن من هذه المعاني الثلاثة المعنى الثاني، وهو الاتجاه، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾.(٥٩)

والكلام على المفردة القرآنية يطول، لن تسعه تلك الوريقات، لذا سنكتفي بهذا القدر في هذا الموضع، حيث التركيز على جانب آخر وهو الإعجاز القرآني في المفردة من خلال تناول الشيخ الكشميري.

****

المبحث الثاني: أنواع الإعجاز في المفردة القرآنية كما تناولها الشيخ الكشميري

وفيه ستة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول: إعجاز المفردة القرآنية من خلال إفادتها الحقيقة.

المطلب الثاني: إعجاز المفردة القرآنية من خلال وضعها في السياق.

المطلب الثالث: إعجاز المفردة القرآنية من خلال وفائها بالغرض الذي وضعت له.

المطلب الرابع: إعجاز المفردة القرآنية من خلال النظم.

المطلب الخامس: إعجاز المفردة القرآنية من خلال الصيغ.

المطلب السادس: إعجاز المفردة القرآنية من خلال اختيارها دون غيرها من مفردات لها نفس المعنى.

****

المبحث الثاني: أنواع الإعجاز في المفردة القرآنية كما تناولها الشيخ الكشميري

قال الشيخ الكشميري(رحمه الله): " وأما الإعجازُ باعتبار مفرداته، فأريد به أنه إذا كان في الصدع [٦٠]، بحقيقة أمر نزاعٌ بين العقلاء، وكانت الأطراف متجاذبة، وأصبحت العقول حائرة، لا تدرك الحقيقة، ودار الأمر بين هذا وذاك لا ينفصل فيه الاختلاف، ولا يهتدى إلى سبيل، فالقرآن المجيد يؤثر في أمثال هذه المواضع المتلاطمة تعبيرًا بكلمة مفردة، لا يمكن أوفى منه بالحقيقة، وأوفى بالمقام، وأوفى بالغرض ".[٦١]

تحليل قول الشيخ: نجد أن الشيخ الكشميري (رحمه الله) عبَّر في تلك العبارة الموجزة بمعانٍ كثيرة، فقد أعطى تعريفًا جامعًا شاملًا للمفردة القرآنية، ووجوه تحقيقها للإعجاز القرآني، كل ذلك بأسلوب ضرب المثال.

فإنه قد يحدث النزاع في أساليب البشر على معنى اللفظة، ولكنه محال أن يحدث في حق الله- سبحانه وتعالى- في كلامه، والذي فاق أسلوبه أساليب البشر، فإنه ليعلو ولا يعلى عليه.

من خلال نص الشيخ نجد أنه بيَّن وجوه الإعجاز القرآني للمفردة القرآنية في ثلاثة وجوه:

١- إعجازها من خلال إفادتها الحقيقة.

٢- إعجازها من خلال وضعها في السياق.

٣- إعجازها من خلال وفائها بالغرض الذي وضعت له.

ولكنه في مواضع أخرى عبر عن أنواع أخرى للإعجاز في المفردة القرآنية، كما سيأتي كل في موضعه. وبيان ذلك كما يلي:

****

المطلب الأول: إعجاز المفردة القرآنية من خلال إفادتها الحقيقة

فإنه حتى يتحقق الإعجاز القرآني للمفردة لابد أن تكون معبرة عن المعنى بجميع أطرافه، لا أن تكون بعيدة عنه، بل إن اللفظ القرآني أوفى ما يكون بذلك، ويتفوق على أساليب البشر في هذا الجانب على وجه التحديد. واستخدم الشيخ الكشميري تعبير (إعجاز اللفظ من خلال إفادته الحقيقة)، فقال: " وما للأغمار، ولمثل ألفاظ القرآن حقيقةً ومعرفةً وحلاوةً ووقارًا وفخامةً

وجزالةً ومتانةً، وأين أنت من لفظ الشهادة للقتل، ومن التعبير للموت بقوله تعالى:﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢) والتعبير عن الموت بلفظ التوفي(٦٣) في مثل قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ (٦٤) (٦٥) ، والفرق بينهما أن (قضى نحبه) المذكورة في الآية في قصة يوم بدر بيانها كما قال ابن زيد، في قوله: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال: " مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ذلك".(٦٦) أما لفظ التوفي فهو كما يأتي:

ما الحقيقة في استخدام لفظ (التوفي)، ومدى تعبيره عن الحقيقة التي هي من نوع الإعجاز القرآني؟

ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا ينكرون البعث بعد الموت، ويرون أن الإنسان إذا مات تفرقت أوصاله، وفُنيت أجزاء بدنه، ولم يبق منه شيء، وقد أفصح القرآن الكريم عن حقيقة زعمهم هذا في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٦٧)، فلم يكن عندهم حساب ولا كتاب ولا معاد ولا نشور، وزعموا أن العالم هكذا يبقى، ولا يخرب، ولا يبيد، ولذلك كانت لهم للموت أسماء حسب مداركهم، ومشاعرهم ذكرها ابن سيَّدة الأندلسي من مثل: الهميغ، النيط، الرهر، المنون، الشعوب، الفود، الحمام، السام.... إلى غير ذلك. (٦٨)

ولكن انظر إلى القرآن الكريم الذي جاء بحقيقةٍ خلاف ما عهدوه، وهي حقيقةُ البعثِ، فاستعمل لها لفظ عبّر عن تلك الحقيقة، وهو لفظ (التوفي).

اللطائف في استخدام لفظ التوفي:

أولًا: أن التوفي بمعنى: استيفاء الشيء كاملًا، وتحصيله سالمًا، من غير أن ينقص منه شيء، فللأرواح عنده مقرّها، ولأجزاء الجسد لديه مستقرها، فيجمعها إذا شاءها العليم الخبير: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

[٦٩][٧٠] فالتوفي هو أخذُ حقٍ كان له، وكأنه استرداد شيء كان له، وإذا أرجع شيئه إلى قبضه لم يبق مراقبة ومحاسبة لما بعده. [٧١]

لعل هذا هو السبب في عدم ذكر لفظ (التوفي) في أسماء الموت عند الأزهري في تهذيب الألفاظ ، ولا الثعالبي في فقه اللغة، بينما ذكره ابن سيدة في المخصص، واستشهد له بالقرآن[٧٢]؛ لأنها لم تكن معلومة أولًا، ثم عُلمت بعدُ بإعلام القرآن الكريم عنها.

ثانيًا: أن المتوفى هو حق المتوفي، ولذا لا يقال لأخذ الفرس من الصحراء: توفيت الفرس، وإنما يقال: توفيتُ حقي، أي حصلته. فكأن الروح ليست ملك صاحبها، وإنما ملك خالقها، والحق لا يكون عند الغير إلا عارية لمدة مضروبة، ومالك الحق يأخذ متى يشاء، وكما قال الشيخ: وما الروح والجثمان إلا وديعة ولابد يومًا أن تُردُّ الودائعُ.[٧٣]

ثالثًا: إسناد لفظ التوفي إلى الله تعالى واختصاصه به فيه دلالة على عدم الفناء، لصيرورته مِلكًا للباقي، فدل هذا اللفظ على بقاء ما توفي، ولما كان البدن في سائر الناس غير متوفى لحضرته تعالى، وكان سيدنا عيسى مما توفي الله بدنه مع روحه:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ... ﴾ [٧٤] [٧٥]، والمقصود هنا أن ووفاة عيسى- عليه السلام- ليست بوفاة موت، بينما تسمى وفاة الميت وفاة. ومثل هذا قوله:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ... ﴾ [٧٦] . فسوى في الاسم بين الوفاتين مع اختلاف المعنيين.[٧٧] وربما لذلك جاء بـ (ورافعك)، أي يتوفى الروح، ويرفع الجسد، وفي الكل فيه استيفاء للحق لذي الجلالة.

هكذا فإن في الموت والمنام توفيًا وتحصيلًا، بما عبر عنه القرآن أحسن تعبير، وأظهر للحقائق بما لم يكن لهم علم بها.

والتوفي في كتاب الله على ثلاثة أوجه: أحدها الموت، والآخر النوم، والثالث الرفع. فالموت ما ذُكر، والنوم في قوله:﴿ وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ يعني: يتوفى التي لم تمت في منامها،

وقال:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ ﴾[٧٨]، يعني النوم، والرفع بعيسى عليه السلام:﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾.[٧٩] [٨٠] فاللفظة تؤدي معنى في كل موضع حسب سياقها الذي وردت فيه، كما سيأتي بعد قليل.

قال الخطابي:" وأعلم أن القرآن إنما صار مُعجزًا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمنًا أحسن المعاني ". [٨١]

ولذلك فإنه من الأفضل اعتمادُ فكرة الضم، أي الضم بين اللفظ والمعنى، وأننا أمام مستويين من المعاني، المعاني الموجودة في النفس قبل التلفظ بها، ثم المعاني التي يقدمها الكلام بعد التلفظ بها، وأنه بقدر التطابق بين هذين المستويين تتحقق الفصاحة. وهكذا فإن ثنائية اللفظ والمعنى يسيران جنبًا إلى جنب.

بالإضافة إلى النموذج الذي ذكره الشيخ الكشميري في استخدام لفظ (التوفي) دون غيره من ألفاظ؛ لتعبيره عن الحقيقة التي أرادها الشارع من جانب، وإلغاء ما عداها مما يتنافى مع حقيقة البعث، وتعبيرها عن المعنى المراد دون غيرها من ألفاظ، هناك أمثلة أخرى على ذلك، ومن النماذج على استخدام مفردات قرآنية تؤدي معنى لا تؤديه لفظةٌ أخرى: لفظة (يقيمون) في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴾[٨٢] فما من موضع ذكرت فيه الصلاة إلا ووردت فيه بهذا اللفظ. وقد ذكر الإمام البيضاوي عدة أقوال في معنى(يقيمون)، فقال: " وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ **أي يعدلون أركانها ويحفظونها** من أن يقع زيغٌ في أفعالها، من أقام العود إذا قومه، **أو يواظبون عليها**، من قامت السوق إذا نفقت، وأقمتها إذا جعلتها نافقة قال:

أَقَامتْ غزالةُ سُوقَ الضُراب ... لأهْلِ العِرَاقينِ حَولاً قَمِيطا. [٨٣]

فإنه إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه، وإذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه، **أو يتشمرون لأدائها من غير فتور ولا توان**، من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه وتجلد، وضده قعد عن الأمر، وتقاعد، **أو يؤدونها**، فقد عبر عن الأداء بالإقامة لاشتمالها على القيام، كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح.

والأول أظهر لأنه أشهر، وإلى الحقيقة أقرب، وأفيد؛ لتضمنه التنبيه على أن الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن، وحقوقها الباطنة من الخشوع والإقبال بقلبه على الله تعالى، لا المصلون الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ، ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة، وفي معرض الذم فويل للمصلين". [٨٤] فانظر إلى الفرق بين الإقامة والآداء.

****

المطلب الثاني: إعجاز المفردة القرآنية من خلال وضعها في السياق

يرى الشيخ الكشميري أن وضع اللفظة القرآنية في سياقها له دور كبير في إعجازها، فإنه لا يمكن معرفة معنى المفردة القرآنية بمعزل عن سياقها الذي وردت فيه، بل إن ذلك جزء من إعجازها، وما زلنا في لفظ (التوفي)، ومما بينه الشيخ في تلك الجزئية.

أولًا: أن لفظ التوفي قد يكون في مقام اختصاص، أو في مقام إرسال، ولذا يُسند إلى الملائكة، كآية الزمر [٨٥]. ولعل هذا ما أراده الراغب في مفرداته، عندما قال في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ...﴾ وقد قيل: تَوَفِّيَ رفعةٍ واختصاص لا تَوَفِّيَ موتٍ [٨٦]. قال ابن عباس: " تَوَفِّي موتٍ، لأنّه أماته ثمّ أحياه ".[٨٧]

ثانيًا: لما كان في النوم نوع توفي أُستعمل له أيضًا في قوله تعالى:﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ....﴾ وقوله:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ...﴾ [٨٨] والعلةُ من ذكرِ (الأنفس) في الأولى، وعدم ذكرها في الثانية، أنه لما أعلمهم أن في المنام أيضًا فيه توفيًا للأنفس، وعلموا حقيقة ذلك، استغنى عن بيانه بعد ذلك. فالكلمات القرآنية لها دور وضرورة في السياق للدلالة على المعنى. [٨٩]

عن السديّ، في قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) قال: " تُقبض الأرواح عند نيام النائم، فتقبض روحه في منامه، فتلقى الأرواح بعضها بعضا: أرواح الموتى وأرواح النيام، فتلتقي فتتساءل، قال: فيخلي عن أرواح الأحياء، فترجع إلى أجسادها، وتريد الأخرى أن ترجع، فيحبس التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، قال: إلى بقية

آجالها قال ابن زيد، في قوله: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) قال: فالنوم وفاة (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى) التي لم يقبضها (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) ". (٩٠)

وهذا من قدرة الله، وملكه للموت والحياة، بأن يملك إرجاع روح لجسدها، وحبسه وإماتته للأخرى. وبالتالي فإنه: " يجب إعمال كل آية في موضوعها وتوفية حقها ". (٩١)

وعن أهمية اللفظة القرآنية حسب وضعها في سياقها:

وما لذلك من أثرٍ في تحقيق المعنى المراد، يقول الإمام الزركشي في معرض كلامه عن القسم الثاني من أقسام تفسير القرآن، الذي لم يرد بطريق النقل: " مَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَقْلٌ عَنِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ قَلِيلٌ وَطَرِيقُ التَّوَصُّلِ إِلَى فَهْمِهِ النَّظَرُ إِلَى مُفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ، وَمَدْلُولَاتِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا بِحَسَبِ السِّيَاقِ، وَهَذَا يَعْتَنِي بِهِ الرَّاغِبُ كَثِيرًا فِي كِتَابِ الْمُفْرَدَاتِ، فَيَذْكُرُ قَيْدًا زَائِدًا عَلَى أَهْلِ اللُّغَةِ فِي تَفْسِيرِ مَدْلُولِ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّهُ اقْتَنَصَهُ مِنَ السِّيَاقِ".(٩٢) كما قال في موضع آخر: " دَلَالَةُ السياق، فَإِنَّهَا تُرْشِدُ إِلَى تَبْيِينِ الْمُجْمَلِ وَالْقَطْعِ بِعَدَمِ احْتِمَالِ غَيْرِ الْمُرَادِ، وَتَخْصِيصِ العامِّ، وَتَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ، وَتَنَوُّعِ الدَّلَالَةِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مُرَادِ المتكلم ، فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلِطَ فِي نَظِيرِهِ وَغَالَطَ فِي مُنَاظَرَاتِهِ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (٩٣)، كَيْفَ تَجِدُ سِيَاقَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ".(٩٤) فرغم كونه مدح إلا أنه في سياق الذم.

ومن الطبيعي أن تكون مفردات القرآن تحمل عنوان مناسبة المقام الذي تعرض فيه، فلا تكون الكلمات نافرة متقلقلة في مكانها، كما لا تكون محشوة زائدة يمكن الاستغناء عنها. ومن ذلك ما ذكره الشريف الرضي عند كلامه عن الآية: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ (٩٥) ، يقول:« ولفظة الإيلاج هاهنا أبلغ؛ لأنّه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر، بلطيف الممازجة، وشديد الملابسة ».(٩٦) وهذه المفردة ذُكرت عشرات المرات، وهي إلى جانب كونها حققت هدفًا بلاغيًا، فإنها فوق ذلك أثبتت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في علم الفلك الآن من حيث دوران الأرض وكرويتها.

قال ابن خلدون في مقدمته: " إعجاز القرآن إنما هو وفاء الدلالة، بجميع مقتضيات الأحوال مع الكمال فيما يختص الألفاظ في انتقائها، وجودة رصفها وتركيبها ". [٩٧] وهو بذلك قد عبر عن مراعاة اللفظ لمقتضيات الأحوال الذي هو السياق المقامي، إلى جانب الرصف والتركيب، الذي هو النظم، وتلك هي أعلى درجات البلاغة.

****

المطلب الثالث: إعجاز المفردة القرآنية من خلال وفائها بالغرض الذي وضعت له.

من خلال النوعين السابقين في المفردة القرآنية، وهما تعبيرها عن المعنى المراد الذي هو عين الحقيقة، ومناسبتها للسياق الموضوعة له يتحقق النوع الثالث فيها، وهو وفائها بالغرض الذي وضعت له، وهو ما عبر عنه الشيخ بقوله في لفظة التوفي: " فحقيقة الأمر أن التوفي في كل مقام هو الأخذ، ويصدق في الموت والنوم والرفع، بل لعل العرب لا يعلمون أن في الموت توفيًا بمعنى التحصيل"[٩٨]. أي أن اللفظة تؤدي معنى يفي بالغرض في كل موضع.

هكذا فإن لفظة (التوفي) تحقق فيها الإعجاز وأتت بكل المعاني، حسب سياقاتها، رغم أن المعاني جميعًا تجتمع وترجع إلى مردٍ واحد، الذي هو بمعنى الأخذ والرفع.

ولذا، وكما يقول الراقم للكتاب: " وهذه الجهة، أعني إعجاز القرآن بمفرداته من هذه الجهة الغامضة التي قررها الشيخ لم ينتبه له أحد مثله، ولم يكشف عنها بتلك الصور، وإن كانوا تنبهوا له من جهات أخرى، مثل التركيب والترتيب...." [٩٩] فالشيخ أتى ببدائع وغرائب في آية التوفي المذكورة في قصة سيدنا عيسى(عليه السلام) في قوله تعالى: " يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي " سواء أسرار بلاغية، ولطائف نظم التنزيل أو في الجوانب العقيدية وخاصة أنه له كتاب (عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام).

يقول بديع الزمان النورسي: " فالكلام إذا حذا حذو الواقع وطابق نظمه نظامه حاز الجزالةُ بحذافيرها. ويكون ذا قوة وقدرة إذا كان أجزاؤه مصداقًا لما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكل إلى ذاك الجمال يشير [١٠٠]

بأن تتجاوب قيودات الكلام ونظمه وهيئته ويمدّ كل بقدره الغرض الكلي مع ثمراته الخصوصية ".[١٠١]

" فالألفاظ في النظم يلائم بعضها بعضا، وهي كلها متوجهة إلى الغرض المنشود، بحيث إذا كان المعنى غريبًا كانت ألفاظه غريبة، وإذا كان المعنى معروفًا مستحدثًا كانت الألفاظ تناسبها. **وغرابة اللفظ لغرابة الموقف،** هو دأب القرآن، وهو من وجوه الإعجاز في المفردة القرآنية، ومن ذلك أنه لما أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يصف حالة يعقوب -عليه السلام- وهو يتأسف على يوسف -عليه السلام-، وكانت هذه الحالة غريبة في نظر أبنائه، لأنهم لم يسدوا مكان يوسف، عبر عن هذه الحالة بكلمات غريبة كلها، فقال سبحانه وتعالى على لسانهم:﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾[١٠٢] ، حيث أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها ".[١٠٣]

وكذلك الأفعال(تفتؤ- وحرضًا) كلها ألفاظ غريبة، تناسب الحالة التي كانوا عليها، وبالتالي فإن اللفظ في نظمه الموضوع فيه ناسب الغرض الذي يرمي إليه ويقصده.

ومما قاله كذلك ابن أبي الأصبع في باب ائتلاف اللفظ والمعنى: " فإن «كان» وأخواتها أكثر استعمالا من «تفتؤ» وأعرف عند الكافّة، ولذلك أتى بعدهما بأغرب ألفاظ الهلاك، وهي لفظة «حرض»، ولمّا أراد غير ذلك، قال في غير هذا الموضع:﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ...﴾[١٠٤]، لمّا كانت جميع هذه الألفاظ مستعملة، وعلى هذا فقس، والله أعلم».[١٠٥]

في قوله تعالى:﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾ [١٠٦] فيه دليل على أن ما أنزل عليهما كان سحرًا... يريد باعتبار الأثر، لا المادة، وسمياه كفرًا لغاية التشنيع، وإن كان من قبيل التفريق بين المرء وزوجه فهو فسق لا كفر، ولو كان أزيد من ذلك لذكر في موضع التشنيع " [١٠٧] ، وبذلك فإن اللفظ مناسب للغرض الذي وضع له.

****

المطلب الرابع: إعجاز المفردة القرآنية من خلال النظم

من وجوه إعجاز المفردة القرآنية أن تكون ملائمة للنظم القرآني، بل " رب كلمة تكون قبيحة نافرة سمجة في غير القرآن، وهي تكون حسنة ملائمة في نظم القرآن، بحيث لا ينوب غيرها منابها، وليس هذا إلا من الإعجاز، صنع الله الذي أتقن كل شيء...".[١٠٨]

ومن ذلك لفظة (ضيزى)[١٠٩] في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾[١١٠] " فإنها في موضعها لا يمكن استبدالها بغيرها، ولا يسد غيرها مسدها، وذلك من جهة السجع، فسورة النجم كلها مسجوعة على حرف الياء، فلو جئنا مثلًا بكلمة على نفس المعنى، مثل: جائرة أو ظالمة، فلو قلنا " تلك إذا قسمة ظالمة " لم يكن النظم كالنظم الأول، وكأن الكلام كالشيء المعوذ الذي يحتاج إلى تمام. كذلك أن اللفظة ذاتها فيها من التقبيح والتهويل لتلك القسمة أضعاف ما في غيرها من ألفاظ، ومن دأب البلغاء أنهم يشيرون إلى تهويل المعنى بتهويل اللفظ ". [١١١]

فجمال انتقاء المفردة متمم لأسلوب النظم، فهو يقول: «كل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها، تجري في الحسن مجراها، وتأخذ معناها». [١١٢]

" فنظرة إلى تلك الحروف تبرز تناسبها لبعضها تناسبًا طبيعيًا في الهمس والجهر والشدة واللين والتفخيم والترقيق مما يشكّل أنغاما متناسقة متناسبة، وهذه الخاصية تعود بلا شك إلى طريقة اختيارها وسبكها وتناسب مخارجها، كما أن وضع الكلمة في الآية واختيار موقعها والتئامها مع جاراتها له الأثر الكبير في إعطاء هذا الجرس الخاص، والإيقاع المؤثر في نفس السامع" [١١٣] .

ويبين ابن الأثير أهمية كل من االمفردة والنظم، بل النظمُ أشدُ وأعمق: «إن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ، أكثر مما يقع في مفرداتها، لأن التركيب أعسر وأشقّ[١١٤]،

ويستشهد لذلك بآية سورة هود ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [١١٥]، وأنه بالنظر إلى هذه الألفاظ لا نجد إلا تلك المزيّة الظاهرة الراجعةُ إلى تركيبها، من حيث تلاقي الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وكذلك إلى آخرها. " ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر "[١١٦] .

" ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دقَّ فهمه وجلَّ نظره. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ...﴾ [١١٧] وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ...﴾ [١١٨] فاستعمل "الجوف" في الأولى، و"البطن" في الثانية، ولم يستعمل "الجوف" موضع "البطن"، ولا "البطن" موضع "الجوف"، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عددٍ واحد، ووزنهما واحد أيضًا، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل". [١١٩]

والجوف: " ما انطبعت عليه الكتفان والعضدان والأضلاع. وجوف الإنسان، بطنه. والأجوفان: البطن والفرج لاتساع جوفهما. وفي الحديث: " لا تنسوا الجوف وما وعى" [١٢٠] ، أي ما يدخل فيه من الطعام والشراب وفي حديث الحج: " أنه دخل البيت وأجاف الباب" [١٢١] ، أي رده عليه. والجوف من الأرض: أوسع من الشعب؛ تسيل فيه التلاع والأودية ". [١٢٢]

وفي الآية الأولى، قال الزمخشري: " فإن قلت: أى فائدة في ذكر الجوف؟ قلت: الفائدة فيه، كالفائدة في قوله الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ، وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصوّر التجلي المدلول عليه، لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفًا يشتمل على قلبين، فكان أسرع إلى الإنكار". [١٢٣]

قال ابن الأثير: " اعلم أنه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء: **الأول منها: اختيار الألفاظ المفردة:** وحكم ذلك اللآلئ المبدَّدَة، فإنها تتخير وتنتقي قبل النظم.

الثاني: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها: لئلَّا يجيء الكلام قلقًا نافرًا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها.

الثالث: الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه: وحكم ذلك الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارةً يجعل إكليلًا على الرأس، وتارةً يجعل قلادة في العنق، وتارةً يجعل شنفًا [١٢٤] في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه". [١٢٥]

****

المطلب الخامس: إعجاز المفردة القرآنية من خلال الصيغ

إن القرآن الكريم يمتاز بقدرة على التصرف، والانتقال بالقارئ من أسوار الواقع الضيقة إلى آفاق المستقبل الرحب، من خلال التصرف في ألوان الخطاب، بضرب من المجاز، وذلك بالانتقال من التكلم إلى الغيبة، والعدول عن الواحد إلى الجمع، أو مخاطبة الجماعة بخطاب الواحد، والانتقال من الماضي إلى المستقبل، إلى غير ذلك، مما يتوالد عنه المعاني، وتكثر معه الأغراض.

قال الشيخ: " وربما تكون الكلمة حسنة رائعة إذا أتيت بها مفردة، ثقيلة متنافرة إذا أتيت بها مجموعة، وربما يُعكس الأمر، فالقرآن المجيد في الأولى يأتي بها مفردة، ولا يأتي بها جمعًا أبدًا، وفي الثانية يأتي بها جمعًا، ولا يأتي بها مفردة أبدًا".[١٢٦]

" أمَّا اختلاف صيغ الألفاظ، فإنها إذا نُقِلَت من هيئة إلى هيئة؛ كنقلها مثلًا من وزنٍ من الأوزان إلى وزن آخر، وإن كانت اللفظة واحدة، أو كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل، أو من الفعل إلى صيغة الاسم، أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي، أو من الواحد إلى التثنية، أو إلى الجمع، أو إلى النسب أو إلى غير ذلك؛ انتقل قبحها فصار حسنًا، وحسنها صار قبحًا". [١٢٧] ، وإن كان التلون في صيغ الألفاظ له وجوه دلالية، إلا أنه كذلك له لون لا يخلو من الطرافة والمتعة، يعتمد على الذوق والحس والموسيقى رائده ابن الأثير الذي عقد فصلًا عن الانتقال بالمفردة من الجمع إلى الإفراد والعكس. [١٢٨]

<u>الإتيان باللفظ في حالة الإفراد:</u>

ومثال الأول، الذي هو الإتيان باللفظ في وضع الإفراد لفظة (الأرض) فإنها لم ترد إلا مفردة، حتى إذا ذكرت السماء بالجمع في مثل قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ .... ﴾ [١٢٩]، فلم يقل سبع أرضين، رغم أن عدد الأرضين مثل عدد السماوات ؛ لأن هذا يخرج بسر الفصاحة، ويذهب روعتها، وكذلك النور، مفردًا في القرآن كله؛ لأنه واحد لا تعدد فيه؛ إذ المراد به الهدى.

ولذلك قال مصطفى صادق الرافعي: " لفظة الأرض، فإنها لم ترد إلا مفردة، فإذا ذكرت السماء مجموعة جيء بها مفردة في كل موضع منه، ولما احتاج إلى جمعها أخرجها على هذه الصورة [١٣٠] التي ذهبت بسر الفصاحة، وذهب بها حتى خرجت من الروعة، بحيث يسجد لها كل فكر سجدة طويلة... ولم يقل سبع أرضين لهذه الجشأة التي تدخل اللفظ، ويختل بها النظم اختلالًا ". [١٣١] والإفراد للدلالة على الجنسية التي هي أشمل وأعم من دلالة الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ...﴾[١٣٢] وقول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دَمًا. [١٣٣]

ولم يقل عيوننا، ولا سيوفنا. فأراد سيف كل واحد منهم تسيل عليه دماء أعدائهم، وهذا دون صيغة الكثرة التي تصرف الذهن إلى معنى الكثرة، فتحجب وراءها معنى الجنسية الذي هو أشمل وأعم. [١٣٤]

وهناك ألفاظ يأتي به بشكل مفرد دائمًا، ولكن إذا جمعها جاء لها بجمع من غير جنسها، كالصراط مفرد، وإذا جُمع قيل: سُبل، والنهار مفرد، وإذا جُمع قيل: أيام. [١٣٥]

وكما جاء في ما حكاه الله- تعالى- عن زكريا- عليه السلام-:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [١٣٦] دون العظام، حيث توصل باختيار اللفظ إلى الإطناب في معناه ". [١٣٧]

وهناك ألفاظ تأتي بصيغة المفرد، ولكنها تعبر عن الجمع، كقوله تعالى:﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ [١٣٨]، وقوله:﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [١٣٩] ، وقوله: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا..﴾. [١٤٠] [١٤١]

العدول عن الإفراد إلى الجمع:

وهناك ألفاظ لا يحسن الإتيان بها في حالة الإفراد، وإنما تحسن مجموعة، وهو موضع عجيب لا يعلم كُنة سره، ومن ذلك لفظة (الأمانات) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[١٤٢] وإن قيل: ليدل ذلك على العموم، فيشمل جميع الأمانات، مهما كانت كبيرة أو صغيرة، فيُرد عليه بأن (المفرد المعرف بأل) هو من صيغ العموم أيضًا، فتدل لفظة (الأمانة) على عموم كل الأمانات، ومثل لفظة (اللب) بمعنى العقل، لم تستعمل إلا في وضع الجمع في مثل قوله تعالى:﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[١٤٣]، وقوله في موضع آخر: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾. [١٤٤]

وهكذا يكون استخدام المفردة القرآنية في حالة الإفراد، رغم قابليتها للمجموع، أو في حالة الجمع رغم قابليتها للإفراد نوع من الإعجاز والتفرد بها عمن سواها.

وكما قال ابن الأثير: " ومن هذا النوع ألفاظ يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها، وهذه موضع عجيب لا يعلم كنة سره". [١٤٥]

وكذلك لفظة (الأرجاء) تحسن مجموعة، كقوله تعالى:﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ ...﴾[١٤٦] ولا تحسن مفردة إلا مضافة، كقولنا: رجا البئر، وكذلك (الأصواف) تحسن مجموعة، نحو:﴿ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا .... ﴾، ولا تحسن مفردة. [١٤٧] فهناك ألفاظ لا تأتي إلا مجموعة، مثل: الظلمات؛ لأنها متعددة، إذ المراد بها الضلال، وطرق الضلال شتى. وبالتالي فإن الجمع للدلالة على الكثرة.

وهناك ألفاظ جمع، ولكنها تعبر عن المفرد، مثل قوله تعالى:﴿ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[١٤٨] هم واحد أو اثنان، فما فوق، أي ليس المراد طائفة كثيرة. [١٤٩]

انتقال اللفظة من صيغة لأخرى، أو من وزن لآخر.

فإن الخروج عن مقتضى الظاهر نهج مسلوك في القرآن الكريم، وكذلك في لسان العرب، وهو لون من ألوان التصرف في الكلام، ونوع من المجاز، مثل **استعمال الماضي في موضع المضارع** في قوله تعالى:﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ .... ﴾[١٥٠] ، **وكذلك استعمال المضارع موضع الماضي** في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ .... ﴾[١٥١]، أي تتلو الآن أيضًا، أي عما مضى إلى الآن، لا أن المضارع بمعنى الماضي" [١٥٢] ، ومثله قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ .... ﴾ [١٥٣]، **ووضع الأمر موضع المضارع** في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ ﴾.[١٥٤] [١٥٥] وفي قوله تعالى:﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [١٥٦] جعل كل العالم مخاطبًا ضربة، فتوزعت المشيئة على الأزمنة ماضيًا وحالًا ومستقبلًا، فهو للاستمرار. وفي قوله:﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ .... ﴾[١٥٧] بالمضارع؛ لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتًا فوقتًا، وغير ذلك كثير من الأمثلة على ذلك.

التلون في استخدام الصيغ من المتكلم إلى المخاطب، ونحو ذلك.

في قوله تعالى:﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[١٥٨] أي من قول عباد الله المخلصين، أي: يقولون، وكثر مثل هذا في القرآن العزيز، كقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ ﴾ لانصباب الغرض إلى المقول، لا لاستيفاء المتعلقات.[١٥٩]

كما قيل في الأعراف:﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩ ﴾[١٦٠] فهو مقول من جانب الله، حكاه أصحاب الأعراف، بحذف رابط الحكاية على أسلوب القرآن فيه كثيرًا. وأسلوب نظم القرآن أسلوب خطاب الولاة وأولي الأمر والحكام، يكثر فيه الالتفات، وإلا

سيكون هناك عملين، من نقل أصل المنقول، وزيادة روابط النقل، فيفوت شأن الأمر، والحكم شفاهًا، ويصير قصة محضة ". (١٦١)

وفي آلِ عمران قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ... ﴾ (١٦٢) بصيغة الغائب، بينما في الأحزاب﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ... ﴾(١٦٣) بصيغة المتكلم؛ لأنه في الأول تذكير لأهل الكتاب، وكان معهودًا عندهم في السابق، ولم يكن لهم إعلامًا من أول مرة، فحكاه حكاية الغائب، أما في الأحزاب خطاب للنبي ﷺ فشافهه بالتكلم ". (١٦٤)

****

المطلب السادس: إعجاز المفردة القرآنية من خلال اختيارها من بين نظائرها.

فإذا كان لمعنى واحد عدة ألفاظ، ولم يخلُ واحد منها من الثقل والاستكراه أو الابتذال، فالقرآن الكريم في مثل هذه المواضع يعبر عن هذا المعنى بلفظ يؤدي أصل الحقيقة، ويعدل عن الألفاظ الأخرى الموضوعة لها .(١٦٥)

-في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾(١٦٦) يريد به الانعزال، بخلاف قوله ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ يريد به الإتيان، وهو أخص من القرب، والتلبس بالفعل أيضًا أعم منه ". (١٦٧) فانظر إلى اختلاف الألفاظ رغم قرب المعنى.

-في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ... ﴾(١٦٨) ولم يقل: أرسل إليهم؛ لأنهم كانوا من قبل مؤمنين، فلم يناسب التعبير إلا بما قال، ولكونهم مؤمنين من قبل يعبر بكونه مصدقًا لما معهم ". (١٦٩)

وهذا النوع دقيق للغاية، فهو في مقابل المشترك اللفظي، أو ما يسمى علم الوجوه والنظائر، بأن يكون للفظ الواحد عدة معاني، وهو وجه من وجوه الإعجاز ذكره السيوطي في(معترك الأقران) عندما قال: " وهذا الوجه من أعظم إعجازه، حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهًا، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر" (١٧٠).

قال مقاتل بن سليمان: " لا يكون الرجل فقيهًا كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة" [١٧١]. وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة، فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة، ولا يقتصر به على معنى واحد، وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة، وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر. [١٧٢]

ولذا لم يكتفِ الخطابي بذكر الألفاظ المشتركة في معانيها، وإنما ذكر دقيقة أخرى، وهي تلك الألفاظ المتقاربة في معانيها، والتي يظن بعض الناس أنها متساوية تؤدي نفس المعنى، والحقيقة غير ذلك، " فى الكلام ألفاظٌ متقاربةٌ في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب؛ كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح ، وكالنعت والصفة ، وكقولك: اقعد واجلس ، وبَلَى ونعم ، وذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات ...." [١٧٣].

ومما ذكره الرافعي في هذا الشأن أن " من ألفاظه ما يسميه أهل اللغة **بالوجوه والنظائر، والأفراد**. فالوجوه والنظائر: فهي الألفاظ التي وردت بمعانٍ مختلفة، كلفظ الهدى، فإنه فيه على سبعة عشر وجهًا بمعنى الثبات، والدين، والدعاء، وغيره من تلك المعاني.

وأما الأفراد، فهي الألفاظ التي تجيء بمعنى مفرد غير المعنى الذي تستعمل فيه عادة.[١٧٤]

****

المبحث الثالث: تفرد الشيخ الكشميري في قضية الإعجاز القرآني.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفرده عن غيره في تناوله لقضية المفردات والنظم.

المطلب الثاني: تفرده عن غيره من حيث القدر المعجز من القرآن.

****

المبحث الثالث: تفرد الشيخ الكشميري في قضية الإعجاز القرآني.

إنه من الملائم، وإذ نحن نعرض لشخصية ما، أن نبين مدى تفرده عن غيره من العلماء، ممن تناولوا تلك القضية، ولو في بعض المواضع، كنموذج يتضح به اتفاق الشيخ أو اختلافه

مع غيره، وما الجديد الذي قدمه في هذا العلم، لذا سنكتفي ببيان الفرق بينه وبين غيره في قضيتين، ألا وهما: القضية الأولى: ما يتلعق بالمفردات والنظم، والقضية الثانية: من حيث القدر المعجز من القرآن الكريم.

والحقيقةُ أن الشيخَ أتى بتحليلٍ دقيق لم يتناوله أحدٌ من قبل بهذا العمق والموضوعية، في تناوله لقضية الإعجاز القرآني- وبوجه خاص هنا- من خلال مفرداته، كما سيتبين،،،،

****

المطلب الأول: تفرده عن غيره في تناوله لقضية المفردات والنظم

إن قضية المفردة القرآنية وموقعها من الإعجاز القرآني من القضايا التي شغلت بال العلماء واختلفوا فيها، واختلافهم هذا راجع إلى اعتبارين، الأول: إما باعتبار أن المفردة بذاتها وباستقلاليتها لها دور كبير في الإعجاز القرآني، الثاني: أو لأن المفردة لا تحقق الإعجاز بدون ارتباطها مع غيرها، الذي هو بمعنى التركيب والترتيب، أو النظم.

والعلماءُ في ذلك فريقان، **الفريق الأول: من أخذ بالنظم بشكل واسع**، في حين أنه عند الكلام على المفردة لا يذكرها إلا عرضًا، **والفريق الثاني: أخذ بالمفردة والنظم معًا**، ولم ينكر دور أي منهما، وإن كان دور النظم أشد وأعمق، ومن هؤلاء شيخنا محور الدراسة، الشيخ محمد أنور شاه الكشميري.

وعند الكلام عن النظم نجد أنه مختلف عن المفردة من حيث استقلاليتها في الإعجاز القرآني، فالنظم إنما هو النظام، أي الارتباط والتلاحم، والنسق الذي يربط بين الكلمات وبعضها البعض، ولذلك فالعلماء والبلاغيون من السلف أمثال عبد القاهر الجرجاني والجاحظ والرماني وغيرهم لم يقفوا موقفًا متشددًا إزاء المفردة أو النظم، بل أخذوا بهما معًا.

ويعد **الجاحظ (ت٢٥٥هـ)** أول من أسس لنظرية (النظم)، وأول من فرق بين الشكل والمضمون، ولذلك فالعلماء بعده تمسكوا بالنظم، وجعلوه مناط الإعجاز البياني؛ لأن القرآن- في رأيهم- يتشكل من مفردات عربية متداولة، جارية على الأفواه.[١٧٥] أي مفردات متلاحمة متناسقة.

و الخطابي(ت٣٨٨هـ) في القرن الرابع الهجري فإنه يتعمق في قضية النظم، في حين أنه عند الكلام على المفردة فإنه يوجزها، ولا يذكرها إلا عرضًا، أما الباقلاني فإنه يقول بالمفردة

والنظم معًا، وإن كان يُبسط القول أحيانًا في النظم، في حين يُبهم في المفردة، ومن كلامه عن النظم، واختيار الكلمة القرآنية: « هو أدق من السحر، وأهول من البحر، وأعجب من الشعر، وكيف لا يكون ذلك، وأنت تحسب أن وضع الصبح موضع «الفجر» يحسن في كل كلام، إلا أن يكون شعرًا أو سجعًا، وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزلّ عن مكان لا تزلّ عنه اللفظة الأخرى، بل قد تتمكن فيه». (١٧٦)

عندما تناول الشيخ الخطابي قضية وجوه الإعجاز من حيث المفردات أو الألفاظ، فقال: " خلاصة الأمر أن الكلام يقوم بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم، وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلائمًا وتشاكلًا من نظمه". (١٧٧)

كما أن **الرماني(ت٣٨٤هـ)** لم يتناول الألفاظ بشكل مفصل، أي لم يولي لها عناية خاصة، فكان جُل اهتمامه بالنواحي البلاغية، ولربما جاءت الألفاظ متناثرة في ثنايا وجوه الإعجاز لديه، فما ذكره: " إن وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ، والصرفة ، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة" (١٧٨) .

وكما سبق، فقد نبه ابن الأثير إلى أن المشتغل بتلك الصناعة لابد له من تحصيل أمور ثلاثة: حسن اختيار اللفظة، ثم حسن التركيب بينها وبين مثيلاتها، ثم ملائمتها للغرض المنشود. وهذا كله واقع في القرآن المعجز.

والشيخ أنور الكشميري سار على هذا النهج، أي لم ينكر دور المفردة باستقلاليتها ودورها في تحقيق الإعجاز القرآني، من خلال الأنواع التي سبق ذكرها، كما لم ينكر دور النظم، بل النظم هو في حد ذاته نوع من أنواع الإعجاز في المفردة ذاتها، فمن وجوه الإعجاز لديه في المفردة القرآنية وجه التركيب.

****

المطلب الثاني: تفرده عن غيره من حيث القدر المعجز من القرآن

اختلف العلماء في القدر المعجز من القرآن على أقوال:

القول الأول: أن الإعجاز يقع بالقرآن كله، وهو قول بعض المعتزلة، أو بسورة تامة برأسها.

القول الثاني: أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره .

القول الثالث: أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة، وهذا رأي الجمهور.(١٧٩)

فذهب الباقلاني في كتابه(إعجاز القرآن) إلى أن الإعجاز يقع بأقل ما يقع، وهو السورة القصيرة، وأقصر سورة هي سورة الكوثر، أو الآية الطويلة التي تعادل ثلاث آيات قصار، وهي سورة الكوثر. فقال: " وأما قوله عز وجل: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ (١٨٠) فليس بمخالف لهذا؛ لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة، وكذلك يحمل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ (١٨١) على القبيل؛ لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعه من أوله إلى آخره، والقبيل، أي المجموعة من الآيات". (١٨٢)

وقال شيخنا رحمه الله: " المعجز عندي أقصر آية من الآيات... والإعجاز في هذا القدر أغمض، وربما تخفى على الكملة البارعين، ولا يتجلى مرادها إلا على من كابد في الخوض على المعاني، وغاص في بحر البيان، والمعاني، وراعى سائر الجهات التي سلكناها في مسلك الإعجاز ". (١٨٣)

ويجب أن نفرق بين القدر الذي يقع به الإعجاز، وإدراك هذا القدر، فالقدر الذي يقع به الإعجاز القرآني هو قول الجمهور، وهو ما يقع بأقصر سورة من القرآن، وهي الثلاث آيات، أو آية واحدة طويلة التي تعادل ثلاث آيات قصار؛ ولذلك ما نقله الشيخ عن فقيه العراق الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) من أن آية قصيرة من آيات القرآن تكفي عن القراءة المفروضة

في الصلاة، وما نقل عنه أنه يجوز للجنب قراءة ما دون آية، ولا يجوز قراءة آية كاملة إلا على طريق الدعاء أو الثناء، فيمكن أن يكون مبنيًا على أن القدر المعجز من القرآن عنده هو قدر آية ". (١٨٤)

أما إدراك القدر المعجز من القرآن: فهو بمعنى الإيمان به، وتصديقه، والإيمان بالوحي، وبإعجاز القرآن من جميع وجوهه، وأنه ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (١٨٥) وإخباره عن قصص الأمم الماضين، وعن الحقائق المستقبلية، إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز، وهذا القدر من حيث الإيمان به يقع في أقصر آية من القرآن علاوة على جميعه.

****

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على النبي العدنان، وآله وصحبه وسلم، ثم أما بعد.....

فقد كان هذا البحث في موضوع من موضوعات علوم القرآن، بل من أهم الموضوعات وأولاها، ألا وهو إعجاز القرآن الكريم، كما تناوله الشيخ محمد أنور شاه الكشميري (ت ١٣٥٢هـ)، فقد تناول الشيخ قضية الإعجاز القرآني في كتابه (مشكلات القرآن) بشكل تطبيقي يظهر لنا من ثنايا تفسيره، كما شغلت باله كثيرًا سواء في برامجه أو في خواطره ولقاءاته، كما صرح بذلك تلميذه الشيخ محمد يوسف البنوري ، الذي قدم لكتابه (مشكلات القرآن) وجعلها تحت عنوان (يتيمة البيان لمشكلات القرآن)، وقد أجاد الشيخ وأفاد في تلك القضية، فانقسمت وجوه الإعجاز لديه إلى أنواع: الإعجاز من خلال مفرداته- ترتيبه وتراكيبه- أغراضه، مقاصده، علومه وحقائقه. وقد اقتصرت فيه على جانب واحد من تلك الجوانب، وهو جانب **(مفرداته)**

وانقسم الإعجاز من خلال المفردات لديه إلى ستة أنواع في ستة مطالب، وهي: إعجاز المفردة القرآنية من خلال إفادتها الحقيقة، من خلال وضعها في السياق، من خلال وفائها

بالغرض الذي وضعت له، من خلال النظم، من خلال الصيغ، من خلال اختيارها من بين نظائرها.

ثم اتبعت ذلك ببيان مدى تفرده عن غيره من العلماء والمفسرين الذين تكلموا في قضية الإعجاز القرآني، وخاصة فيما يتعلق بقضية المفردات والنظم، وفي القدر المعجز من القرآن.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها :

أولًا: إن إعجاز القرآن الكريم يقع من خلال المفردة المنفردة ذاتها، أو اللفظ، ليس شرطًا أن ترتبط بغيرها بما يعرف بالنظم؛ ليتحقق الإعجاز، وإن كان النظم أعسر وأشد في الإعجاز.

ثانيًا: أن الشيخ الكشميري لم يكن ناقلًا فحسب، ولكن كان له فيوضات وإفادات انفرد بها عن غيره.

ثالثًا: تعبير اللفظة عن الحقيقة هو نوع من الإعجاز مثل ما قام به الشيخ في تحليل لفظة (التوفي). **رابعًا:** من أنواع الإعجاز في اللفظة المفردة مناسبتها للسياق، ووفائها بالغرض المقصود.

خامسًا: أن غرابة اللفظة تتبع لغرابة المعنى، مثل تحليل الشيخ للفظة (ضيزى).

سادسًا: انفرد الشيخ عن كثير ممن سبقه في ممازجته بين المفردة المنفردة ووضها في النظم.

سابعًا: انفرد الشيخ عن كثير ممن سبقه في القدر المعجز من القرآن، وأنه يقع في أقصر آية من القرآن.

ولذا يوصى بأن تستكمل دراسة وجوه الإعجاز القرآني كما تناولها الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في الوجوه الأخرى.

وبعد،،،،،،

فإن هذا لهو عمل المقل، غير إني دعوت الله كثيرًا ورجوته أن يفتح لي مقفلات الأفهام، وأن يوجهني ويرشدني إلى الطريق الصحيح، حتى وجدت الطريق مفتوحًا أمامي في هذا الموضوع، ووجدت تيسيرًا ويسرًا في تناوله، حتى شعرت أن الله قد وفقني له واختاره لي (بفضله وعونه)، وفوق ذلك لم يتناوله أحد من قبلي، رغم تزاحم الموضوعات في مجال الدراسات الإسلامية، وهذا طبيعة البحث في القرآن الكريم، الذي لم ولن ينضب.

والله أرجو أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من ضعف وتقصير، فمني ومن الشيطان، والله المستعان، هو حسبي، وعليه توكلت.

الحواشي:

(١) السناء:٢٨

(٢) يتيمة البيان لمشكلات القرآن، محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري، الناشر: المجلس العلمي بدابهيل، ١٩٣٨م، ١٣٥٦هـ، ص٨٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، ص١٠.

(٤) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، عبد الحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ١١٩٨/٨.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور، محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري ، المجلس العلمي بكراتشي، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، ص٢٥.

(٧) المرجع نفسه، ص١٢.

(٨) المرجع نفسه، ص٩٥.

(٩) تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ، ط ٢٠١٠م ص١٨.

(١٠) من تاريخ الجامعة الإسلامية–دار العلوم ديوبند، السيد محبوب رضوي، ص١٩٩. دائرة المعارف الإسلامية، ٣٠٦/١٧.

(١١) المرجع نفسه.

(١٢) نفحة العنبر، للبنوري، ص٧١.

(١٣) مقدمة على كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح)، للكشميري، عبد الفتاح أبو غدة، مطبعة قاسمي، ديوبند، ص٢٥.

(١٤) نفحة العنبر، للبنوري ، ص٤.

(١٥) يتيمة البيان لمشكلات القرآن، للبنوري، ص٦

(١٦) المرجع نفسه.

(١٧) تفسير الإمام الكشميري- جمع ودراسة وتحليل، جمال محمد علي حسين، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، الأردن، ٢٠١٦م، ص١٦-١٧.

(١٨) هذه المؤلفات المخطوطة لم أعثر عليها، ولكنها وفق تصريح الشيخ أبو غدة، محقق كتاب: (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للكشميري، ص٣٢

(١٩) نفحة العنبر، للبنوري، ص٤.

(٢٠) يتيمة البيان لمشكلات القرآن، للبنوري، ص١٢٥.

(٢١) عبقرية الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في ضوء كتاباته، د/ محمد أجمل القاسمي، منصة المنهل، منصة المنهل الالكترونية(almanhal.com)

(٢٢) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، ط٣، ١٤١٤م، مادة (عجز)، باب الزاي، فصل العين، ٥/ ٣٦٩.

(٢٣) [سبأ: ٥]

(٢٤) معاني القرآن وإعرابه، أبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٤/٢٤٠.

(٢٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، باب العين، ٢/٥٨٥.

(٢٦) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ٤/ ٣، وقريبا منه في «مناهل العرفان» للزرقاني، ١/ ٦٦.

(٢٧) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص١٩.

(٢٨) الإسراء: ٨٨

(٢٩) الروم: ١ - ٣

(٣٠) الفتح: ٦١

(٣١) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،أبو سليمان الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله، و محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م، ص٢١-٢٨.

(٣٢) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص١١٣.

(٣٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، مادة (فَرَدَ)، باب الفاء والراء وما يثلثهما، ٤/٥٠٠.

(٣٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (فرد)، باب الدال-فصل الفاء، ٣/٣٣١.

(٣٥) القاموس اللمحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، مادة (فرد)، باب الدال- فصل الفاء، ص٣٠٥.

(٣٦) مناهج البحث في اللغة ، تمام حسين، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٢٣٢.

(٣٧) الأصول في النحو، لابن السراج، مؤسسة الرسالة، بيروت،١/٣٦.

(٣٨) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرءوف المناوي، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠، ص٢٨٣.

(٣٩) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ٩-٢٠.

(٤٠) المحرر الوجيز، لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/٥٢.

(٤١) تفسير الماتريدي،محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ١/٢٧٦.

(٤٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ١/٥٣٩.

(٤٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ١٨/٣١٥.

(٤٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/٢٢٧.

(٤٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، ص٥٤.

(٤٦) المرجع نفسه.

(٤٧) المفردة القرآنية، المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، مقال للدكتور مساعد بن سليمان آل طيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية،

(٤٨) البقرة: آية٣١.

(٤٩) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م،١/٥١١.

(٥٠) معجم مقاييس العرب، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، مادة (لبس)، ٥/٢٣٠.

(٥١) الكهف: آية ٣١.

(٥٢) الأعراف: آية ٢٦.

(٥٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (لبس)، ص٧٣٤.

(٥٤) المفردة القرآنية، المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، مقال للدكتور مساعد بن سليمان آل طيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(٥٥) البقرة: ٤٢

(٥٦)الأنعام: ٨٢

(٥٧) التوبة: ٨٤ (جزء من آية)

(٥٨) المفردة القرآنية، المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، مقال للدكتور مساعد بن سليمان آل طيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(٥٩) البقرة: ١٤٤ (جزء من آية)

(٦٠) والصدْع: الشقُّ في الشيْء الصلْب(المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، مادة (صدع)، ٥٣/١.

(٦١) مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، للبنوري، ص٨٦.

(٦٢) الأحزاب: آية ٢٣-جزء من آية.

(٦٣) ص٨٨.

(٦٤) البقرة: ٢٣٤

(٦٥) مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، للبنوري، ص٨٥-٩٠.

(٦٦) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ٢٣٩/٢٠.

(٦٧) الجاثية: ٢٤.

(٦٨) المخصص، لابن سِيدَة، ٧١/٢.

(٦٩) الشورى: ٩٢.

(٧٠) مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، للبنوري، ص٨٥-٩٠.

(٧١) مشكلات القرآن، الكشميري، ص٢٦٩.

(٧٢) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سِيدَة، تحقيق: خليل إبراهيم جيفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ٧١/٢.

(٧٣) هذا البيت من قول الشيخ(مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، ص٨٩)، بينما في ديوان لبيد بن ربيعة: وما المال والأهلون إلا وديعة....(ديوان لبيد بن ربيعة، ص٥٦).

(٧٤) آل عمران: ٥٥.

(٧٥) المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الهمذاني، تحقيق: عبد الحليم محمود، و سليمان دنيا، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٧٤م، ١٩٩/١٦.

(٧٦) الزمر: ٤٢.

(٧٧) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والحكم، أحمد بن محمد الكرجي القصاب، تحقيق: علي بن غازي التويجري، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ٢١٤/١.

(٧٨) الأنعام:٦٠.

(٧٩) تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ص١٣٣.

(٨٠) مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، للبنوري، ص٨٥-٩٠.

(٨١) بيان إعجاز القرآن، للخطابي، ص٧١.

(٨٢)البقرة:٣

(٨٣) البيت لأيمن خزيم، العشرات في غريب اللغة، غلام ثعلب، المطبعة الوطنية، عمان، ص٩٠.

(٨٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٣٨/١.

(٨٥) ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...

(٨٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٨٧٩.

(٨٧) أخرجه ابن جرير، ٢٩٠/٣، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢٢٥/٢.

(٨٨) الأنعام/٦٠.

(٨٩) مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، للبنوري، ص١٠٤.

(٩٠) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ٢٩٩/٢١.

(٩١) مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، للبنوري، ص١٠٤.

(٩٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١٧٢/٢.

(٩٣) الدخان: ٤٩

(٩٤) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، ٢٠٠/٢.

(٩٥) آل عمران: آية٢٧.

(٩٦) تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م، ص١٢٣.

(٩٧) مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص٤٠٧.

(٩٨) مشكلات القرآن مع مقدمة يتيمة البيان، للبنوري، ص٨٧.

(٩٩) المرجع نفسه، ص٩٣.

(١٠٠) لم أجد تخريج للبيت، فيبدو أنه من أقوال بديع الزمان النورسي.

(١٠١) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٨٥. البرهان في علوم القرآن، للزركشي،٢/١٦٠.

(١٠٢) يوسف: ٨٥

(١٠٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، عبد العظيم ابن أبي الأصبع، تحقيق: د/ حفني محمد شرف، الناشر: لجنة إحياء التراث، ص ١٩٥، والبرهان، للزركشي، ٣/ ٤٣٣. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص١٣٦.

(١٠٤) المائدة: ٣٥.

(١٠٥) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع، ص ١٩٥

(١٠٦) البقرة: آية١٠٢.

(١٠٧) مشكلات القرآن، محمد أنور الكشميري، المجلس العلمي، كراتشي، باكستان، ط١، ١٣٥٧هـ، ص٢٥

(١٠٨) يتيمة البيان لمشكلات القرآن ، ص٩٣.

(١٠٩) ضِيزَى: جائرة؛ يُقَال: ضاز يَضِيزُ ضَيْزًا. (تهذيب اللغة، للأزهري، أَبْوَاب الثلاثي المعتل من حرف الضَّاد ، ٣٨/١٢.

(١١٠) النجم: ٢٢

(١١١) يتيمة البيان لمشكلات القرآن ، للبنوري، ص٩٥

(١١٢) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م، ص٩٩.

(١١٣) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص١٣٧.

(١١٤) المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ١٦٦/١.

(١١٥) هود: ٤٤

(١١٦) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٣٨.

(١١٧) الأحزاب: ٤

(١١٨) آل عمران: ٥٣

(١١٩) المثل السائر، ابن الأثير، ١٦٤/١.

(١٢٠) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٠٧/١، رقم ٣١٧) ، وأبو نعيم (١٨٥/٨)

(١٢١) ممدة الباري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ب: خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، ١٩٧/١٥

(١٢٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ٣٦٠/١.

(١٢٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٥١٦/٣.

(١٢٤) الشنف: القرط

(١٢٥) المثل السائر، ابن الأثير، ١٦٣/١.

(١٢٦) يتيمة البيان لمشكلات القرآن، للبنوري، ص٩٥

(١٢٧) المثل السائر، ابن الأثير، ٢٩٤/١.

(١٢٨) شرح المفردة القرآنية، عرض ودراسة من خلال تفسير الإمام البيضاوي، خالد السعيد البسيوني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، ع٣٤، صفحات ٥٥٤-٦٣٠.

(١٢٩) الطلاق: ١٢

(١٣٠) يقصد تلك المذكورة في الآية: " سبع سماوات ومن الأرض مثلهن " في الآية السابقة.

(١٣١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ص١٦٠.

(١٣٢) المائدة: آية٨٣.

(١٣٣) البيت لحسان في طبقات فحول الشعراء، أبو عبد الله محمد بن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ٢١٩/١.

(١٣٤) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ (دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن)، مطبعة الحسين ال محمد أمين الخضري، ص١٥.

(١٣٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهلني، ص١٠.

(١٣٦) مريم: آية٤.

(١٣٧) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، علق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص١٢٢.

(١٣٨) الحجر: ٦٨

(١٣٩) الشعراء: ١٦

(١٤٠) الحج: ٥

(١٤١) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ص١٦٠.

(١٤٢) النساء: ٥٨

(١٤٣) البقرة: ٢٦٩

(١٤٤) المائدة: ١٠٠

(١٤٥) المثل السائر، لابن الأثير، ص١١١.

(١٤٦) الحاقة: آية ١٧.

(١٤٧) يتيمة البيان لمشكلات القرآن، للبنوري، ص٩٦.

(١٤٨) النور: آية ٢.

(١٤٩) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص١٧٣.

(١٥٠) النحل: آية ١

(١٥١) البقرة: آية١٠٢.

(١٥٢) مشكلات القرآن، للكشميري، ص٢٤.

(١٥٣) آل عمران: آية١٥٢.

(١٥٤) هود: آية ٥٤.

(١٥٥) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، محمد أمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص١٠.

(١٥٦) الإنسان:آية ٣٠.

(١٥٧) الحجرات: آية ٧.

(١٥٨) الصافات: آية ١٦٤.

(١٥٩) مشكلات القرآن، للكشميري، ص٣٧١.

(١٦٠) الأعراف: آية ٤٩.

(١٦١) مشكلات القرآن، للكشميري، ص٢٨٥.

(١٦٢) آل عمران: آية١٨٧.

(١٦٣) الأحزاب: آية٧.

(١٦٤) مشكلات القرآن، للكشميري، ص١٢٤.

(١٦٥) يتيمة البيان لمشكلات القرآن، للبنوري، ص٩٧

(١٦٦) البقرة: آية٢٢٢.

(١٦٧) مشكلات القرآن، للكشميري، ص٨٥.

(١٦٨) البقرة: آية١٠١.

(١٦٩) مشكلات القرآن، للكشميري، ص١٠٤.

(١٧٠) معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ١/٣٨٧.

(١٧١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص٥٤.

(١٧٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، ١/٣٨٧.

(١٧٣) بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، للخطابي، ص٢٩.

(١٧٤)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص٥٤.

(١٧٥) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ص٣٩.

(١٧٦) إعجاز القرآن، االباقلاني، ص ١٨٤

(١٧٧) المرجع نفسه، ص٢٧.

(١٧٨) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله، و د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص٧٥.

(١٧٩) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص٤٠.

(١٨٠) الطور: آية٣٤.

(١٨١) الإسراء: آية ٨٨.

(١٨٢) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص٢٥٤.

(١٨٣) يتيمة البيان لمشكلات القرآن، للبنوري، ص١٢٠.

(١٨٤) المرجع نفسه.

(١٨٥) فصلت: آية ٤٢.

****

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأساسية، معتمد الدراسة:

- مشكلات القرآن، محمد أنور الكشميري، المجلس العلمي، كراتشي، باكستان، ط١، ١٣٥٧هـ.

- يتيمة البيان لمشكلات القرآن، محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري، الناشر: المجلس العلمي بدابهيل، ١٩٣٨م، ١٣٥٦هـ.

ثانيًا: المصادر والمراجع الأخرى التي تم الرجوع إليها:

- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.
- الأصول في النحو، لابن السراج، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ (دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن)، مطبعة الحسين ال محمد أمين الخضري.
- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، محمد أمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م .
- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، عبد الحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
- بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،أبو سليمان الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله، و محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م.

- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، عبد العظيم ابن أبي الأصبع، تحقيق: د/ حفني محمد شرف، الناشر: لجنة إحياء التراث.
- تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط ٢٠١٠م.
- تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير الماتريدي، محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرءوف المناوي، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠.
- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- شرح المفردة القرآنية، عرض ودراسة من خلال تفسير الإمام البيضاوي، خالد السعيد البسيوني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية.
- طبقات فحول الشعراء، أبو عبد الله محمد بن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني.

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- القاموس اللمحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، ط٣، ١٤١٤م.
- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، دار نهضة مصر.
- المحرر الوجيز، لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سِيدَة، تحقيق: خليل إبراهيم جيفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الهمذاني، تحقيق: عبد الحليم محمود، و سليمان دنيا، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٧٤م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، علق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- المفردة القرآنية، المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، مقال للدكتور مساعد بن سليمان آل طيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية.
- مقدمة على كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح)، للكشميري، عبد الفتاح أبو غدة، مطبعة قاسمي، ديوبند.
- من تاريخ الجامعة الإسلامية–دار العلوم ديوبند، السيد محبوب رضوي، ص١٩٩. دائرة المعارف الإسلامية.
- مناهج البحث في اللغة ، تمام حسين، مكتبة الأنجلو المصرية.
- نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور، محمد يوسف بن السيد محمد زكريا البنوري ، المجلس العلمي بكراتشي، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والحكم، أحمد بن محمد الكرجي القصاب، تحقيق: علي بن غازي التويجري، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله، و د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

- عبقرية الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في ضوء كتاباته، د/ محمد أجمل القاسمي، منصة المنهل، منصة المنهل الالكترونية(almanhal.com)
- المفردة القرآنية، المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، مقال للدكتور مساعد بن سليمان آل طيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية.